الصلاة اليهوديّة(١)

الخوري جان عزام
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

لا شكّ في أنَّ الصلاة اليهوديّة التي عاشها واختبرها سيّدنا يسوع المسيح طيلة حياته على الأرض، كانت في أساس الصلاة التي عاشتها الجماعة المسيحيّة الأولى في أورشليم، وبعدها الجماعات المسيحيّة الأخرى التي انتشرت في سائر أنحاء الإمبراطوريّة الرومانيّة، وبخاصّة كنائس أنطاكية التي تتكلّم الآراميّة.

ولأنّ صلاتنا وبعض أعيادنا الأساسيّة مرتبطة بجذور الصلاة والأعياد اليهوديّة، فلا شكّ أنّ معرفة حقيقيّة ومفصّلة للصلاة اليهوديّة هي أمر حيويّ لمعرفة الصلاة المسيحيّة نفسها وعيشها بطريقة أفضل وأقرب إلى عيش المسيح لها.

من هنا، فإنّ دراستنا لهذا الفصل عن «الصلاة اليهوديّة» لا تهدف بالدرجة الأولى إلى التعرّف على الصلاة والليتورجيّا الخاصّتَين «بديانة أخرى»، وإن تكن الأقرب إلى ديانتنا، بل تهدف أوّلاً وبخاصّة إلى التعرّف الجذريّ إلى مصادر صلواتنا وليتورجيّاتنا، وبخاصة الليتورجيّا والصلوات الأنطاكيّة والسريانيّة التي تأثّرت تأثيرًا كبيرًا «بالطقس» المسيحيّ–اليهوديّ الخاصّ بكنيسة أورشليم أمّ الكنائس كلّها.

(١) Cf. DI SANTE CARMINE, *La prière d'Israël*, Paris, 1986.
يرتكز بحثنا هذا أساسًا على هذا الكتاب المهمّ جدًّا عن الصلاة اليهوديّة، وعلى مراجع عديدة أخرى وردت في حينه؛ بعض هذه المراجع وارد في الكتاب المذكور، ولكنّي راجعتها شخصيًّا قبل إعادة ذكرها هنا.

إذًا هذه الدراسة تفتح آفاقًا على الماضي للبحث عن الجذور، ولكنّها تفتح أيضًا آفاقًا على الحاضر لقراءة جديدة لطقوسنا وصلواتنا على ضوء مقابلة لا بدّ منها مع الصلاة اليهوديّة – المسيحيّة، وعلى ضوء التجديد اللاهوتيّ الحاصل منذ المجمع الفاتيكانيّ الثاني وبالارتكاز عليه.

١– مصادر البحث

يُعتَبر العهد الجديد مصدرًا مهمًّا للتعرّف إلى الليتورجيّا اليهوديّة في أيّام المسيح (القرن الأوّل ميلاديّ)؛ ولكنَّ العهد الجديد يعرِّفنا إلى الأماكن التي كانت تتمّ فيها العبادة، وإلى الأعياد اليهوديّة وأهمّيّة كلٍّ منها، أكثر ممّا يشرح لنا محتوى هذه الليتورجيّا والعبادة وكيفيّة الاحتفال بطقوس الأعياد.

ولذلك، فنحن بحاجة إلى العودة أيضًا إلى المصادر اليهوديّة نفسها، وبخاصّة تلك الأقرب زمنيًّا إلى العهد الجديد. هذه المصادر ستفاجئنا بالنور الذي تلقيه على «الروحانيّة» التي عاشها يسوع، وعلى مضمون الاحتفالات التي شارك فيها، والصلوات التي ردّدها والتي نجد لها صدىً واسعًا في صلواته وأقواله المأثورة وتعاليمه، وكذلك في صلوات الرسل. فلننظر أوّلاً إلى العهد الجديد، وثانيًا إلى المصادر اليهوديّة.

١،١– في العهد الجديد[٢]

– الهيكل والمجمع: يُذكَر الهيكل في العهد الجديد حوالى سبعين مرّة، دائمًا كمكان للعبادة والصلاة، أو كمسرح لتعاليم المسيح ومجادلاته مع الكتبة والفرّيسيّين (لو ٢٢: ٥٣)، طبعًا هناك أيضًا كلام عن مفهوم رمزيّ للهيكل، أي عندما يتكلّم يسوع عن «هيكل جسده» (مر ١٤: ٥٨)، وفي كلام مار بولس عن المسيحيّين بمثابة «هيكل الله» (١ كو ٣: ١٦).

(٢) Pour une étude détaillée, cf. R. ARON, *Ainsi priait Jésus enfant*, Paris, 1968

نفس الشيء نعرفه عن المجمع اليهوديّ؛ فهو مذكور حوالى الستّين مرّة. وغالبًا ما نعرف أنّ يسوع كان «يعلِّم في المجمع» (مت ١٣: ٥٤؛ مر ١: ٢١؛ ٦: ٢؛ إلخ). بولس أيضًا كان يدخل المجمع ليعلن البشارة بالمسيح (أع ٩: ٢٠ ؛ ١٣: ٥). أمّا النصّ الأهمّ حول المجمع فنجده في لو ٤: ١٥–٢٢ وفيه المعلومات التالية:

– وجود المجمع؛ الاجتماع يوم السبت؛ مشاركة كلّ مؤمن يرغب في القراءة والوعظ؛ قراءة نصوص من الأنبياء؛ استعمال اللفائف الكبيرة التي كانت تتطلب خدّامًا لفتحها وإغلاقها.

– السبت

يأتي العهد الجديد حوالى سبعين مرة على ذكر السبت، وهو يوم العيد الأسبوعيّ والأهمّ بالنسبة إلى الاحتفالات الليتورجيّة والصلوات. مع ذلك، فالعهد الجديد لا يذكر السبت إلا ليؤكّد المجادلات التي دارت بين يسوع والسلطات الدينيّة اليهوديّة حول تفسير معنى راحة السبت والشرائع المختصّة به. وقد يسيء القارئ فهم هذا الموضوع مفسِّرًا إيّاه بمثابة رفض من قبل يسوع لشريعة السبت. والعكس هو الصحيح؛ فإنّه يعيد إليه معناه الأصليّ: الراحة للعبادة ولمحبّة القريب! ويجعله من جديد في خدمة الإنسان وعبادته الحقيقيّة لله (مر ٢: ٢٧).

– الفصح والعنصرة

يذكر الفصح حوالى ثلاثين مرّة، وفي غالبها ذكر للعيد كمناسبة لتعليم أو عمل ما يقوم به المسيح؛ ولا شرح لطقوس العيد، مع ذلك فهناك بعض التلميحات، مثلاً، إلى اسم العيد المزدوج: الفصح– الفطير وهو الوقت الذي يُهيَّأ فيه الاحتفال. ونجد بعض الإشارات إلى طقسه: «وأخذ الخبز وباركه وكسره ووزّعه... وكذلك على الخمر» (لو ٢٢: ١٤–١٨). هكذا يؤسّس المسيح الإفخارستيّا في ليلة الفصح. وللفصح أهمّيّة كبيرة في العهد الجديد أيضًا لاستعماله الرمزيّ، بمعنى أنّ يسوع هو الحمل الفصحيّ الجديد، والمسيحيّون هم

الخمير الحقيقيّ (١ كو ٥: ٧). أمّا بالنسبة إلى عيد العنصرة فالإشارة إليه قليلة جدًّا، ما عدا أع ٢: ١–١٣ الذي يشير إلى حلول الروح في عيد الخمسين.

– عيد المظال

لهذا العيد إشارة في يو ٧: ٢ و٣٧–٣٩. نعرف أن هذا العيد هو الأكثر شعبيّة وفولكلوريّة بين الأعياد اليهوديّة المرتبطة بالحجّ. ويتميز الاحتفال فيه بِرَشّ ماء يرمز إلى عطيّة الروح. ويسوع نفسه يقول في هذا العيد: «مَن هو عطشان... وكان يتكلّم عن الروح المزمع أن يناله المؤمنون به».

من المرجّح أنّ عيد العنصرة قد امتزج بعيد المظالّ في الليتورجيّا المسيحيّة، لذلك لا نجد له أثرًا في حياة الكنيسة الأولى.

– عيد التجديد ويوم الغفران

يتكلّم العهد الجديد أيضا عن عيد التجديد (يو٢٢: ١٠)، ولا يشرح عنه شيئًا. إنّه عيد تطهير الهيكل من دنس «الرجاسة» التي أدخلها أنطيوخوس أبّيفانوس عليه سنة ١٦٤ ق.م.، عندما قدّم في قدس الأقداس قربانًا للإله زيوس أوليمبس؛ وهناك أيضًا تلميح إلى يوم الغفران تحت اسم «يوم الصوم» (أع ٢٧: ٩؛ عب ٩: ١– ٢٨).

– «اسمع يا إسرائيل»

«إسمع يا إسرائيل» هي الصلاة الأساسيّة في الدين اليهوديّ، والتعبير الأفضل عن الإيمان اليهوديّ، وهي تتلى ثلاث مرّات في النهار. يذكرها يسوع على أنّها الوصيّة الأولى (مت ١٢: ٢٨؛ مر ١٢: ٢٩–٣٠).

– صلاة البركة

هناك اجتهادات عديدة يمكن من خلالها استخراج بعض ملامح هذه الصلاة في العهد الجديد والتي يستعملها يسوع غالبًا (مت ١٤: ٢٢–٢٤ ؛ لو ١٠:

٢١–٢٢؛ مت ١٠: ١٦؛ يو ١١: ٤١؛ راجع أيضًا ١ كو ٣: ١٧ ؛ أف ٥: ١٨–٢٠ ؛ ١ كو ١: ٤–٩ ؛ كول ١: ٣–٥، أف ١: ٣–١٤).

– صلاة الأبانا

في العهد الجديد نصّان لصلاة الأبانا (لو ١١: ٢–٤ ومت ٦: ٩–١٣). إذا قابلنا هذه الصلاة مع المصادر اليهوديّة نجد أنّ جذورها راسخة في هذا التقليد العريق[٣]، إن من حيث بنيتها التي تتّبع البنية النموذجيّة للصلاة اليهوديّة، وإن من حيث مضمونها. فمن حيث البنية، صلاة الأبانا هي صلاة بركة في البداية، وطلبات في المركز، وصلاة بركة في الخاتمة. نجد أمثالاً عن هذه البنية في صلاة داود في ١ أخ ٢٩: ١٠–٢٠. أمّا من حيث المضمون، فعناصرها الأساسيّة موجودة في التقليد الليتورجيّ اليهوديّ، وإن كنّا لا نجد لها مثيلاً في صلاة يهوديّة مماثلة. فدعوة الله «أبانا»[٤]، والاعتراف به إله السماوات والأرض[٥]، وطلب تقديس اسمه[٦]، إلى طلب ملكوته[٧]، وإلى الرغبة في أن يحقّق مشيئته في الأرض كما في السماء[٨]، إلى طلب تدبيره لخبزنا اليوميّ[٩]، إلى التوسّل إليه ليغفر خطايانا[١٠]، كما نحن نغفر لمن خطئ إلينا[١١]، إلى الدعاء بألاَ يتركنا ندخل في

(٣) Les sources juives du Notre Père », *Fêtes et saisons* 527 (1998) 59 ».

(٤) راجع تث ٣٢: ٦؛ أش ٦٣: ١٦؛ صلاة الـ «عميدا» أو صلاة البركات الثماني عشرة حيث نجدها في بركتين: البركة الخامسة: «أتينا يا أبانا»، والسادسة: «أغفر لنا لأننا خطئنا».

(٥) Cf. *Mishnah*, Traité "Avot" 25 :5: «تشدّدْ واصنعْ مشيئة أبيك الذي في السماوات».

(٦) راجع البركة الثالثة من صلاة التفِلّه: إبق معنا؛ فليعظّم وليقدّس اسمك على الأرض، كما هو مقدّس في أعلى السماوات».

(٧) راجع صلاة القدَيش وهي من أقدم الصلوات اليهوديّة: «فليحقّق ملكوته في حياتكم، في أيّام زمانكم... ».

(٨) راجع ١ مك ٣: ٦٠: «كما هي إرادته في السماء، كذلك فلتكن».

(٩) راجع خر ١٦: ٢٠–٢١؛ أم ٣٠: ٨.

(١٠) راجع البركة السادسة في صلاة التفِلّه: «إغفر لنا يا أبانا لأنّنا خطئنا».

(١١) راجع سي ٢٨: ٢: «إغفر لقريبك سيّئاته، وعندئذ تغفر خطاياك عند صلاتك!».

تجربة، وبأن ينجّينا من الشرّير(١٢): كلّ هذه العناصر موجودة، كما نرى، في التقليد الروحيّ والليتورجيّ اليهوديّ، ولكن لا توجد صلاة واحدة في هذا التقليد تجمع كلّ هذه العناصر معًا، كما هي مجتمعة بطريقة فريدة في الصلاة التي علّمنا إيّاها يسوع، ممّا يجعلها جديدة وجميلة وقويّة بطريقة لا سابق لها؛ أضف إلى ذلك أنّ يسوع يعلّمنا أن ندعو الله أبانا بالارتكاز على دعائه الشخصيّ الفريد لله بكلمة «أبَا» التي لم يجرؤ أحد قبله على استعمالها(١٣).

١،٢- في المصادر اليهوديّة

- المشنا: هو مجموعة قوانين وشرائع يهوديّة تعود إلى بداية القرن الثالث بعد المسيح، غير أنّ ما تنظّمه من مواضيع يعود في أكثره إلى القرنَين الأوّل والثاني للمسيحيّة، وقبل ذلك.

ونجد في المشنا فصلين من أصل ستّة تختصّ بالفرائض الطقسيّة والليتورجيّة، وبالصلوات، وهما: الفصل الخامس المختصّ بالذبائح والأشياء المقدّسة (قِدُوشِيم)، والفصل الثاني المختصّ بالأعياد (مُوعَد).

ثمّ هناك الجزء الأوّل من الفصل الأوّل المخصَّص كلّه لصلاة البركة وتفسيرها.

- التلمود: هو مجموعة تفاسير المشنا فصلاً ففصلاً، ومادّة فمادة، ويُقسم إلى قسمين: المشنا والمارة.

هناك تلمودان كبيران مرتبطان بمركزي الدين اليهوديّ الأشهر: أورشليم وبابل. ثمّ بعد تهديم أورشليم صارت هناك تقاليد تلموديّة مرتبطة بأماكن أخرى: يَمْنِيَا، قيصريّة، اللدّ، وطبريّا.

---

(١٢) راجع الصلاة السابعة في صلاة التفلّه: «لا تتركني إلى قوّة الخطيئة، وإلى قوّة الإثم، ولا إلى قوّة التجربة، ولا إلى قوّة الخزي».

(١٣) Cf. J. JEREMIAS, *Paroles de Jésus. Le sermon sur la montagne. Le Notre Père*, Paris, 1965, p. 83-87.

طبعًا ما يعرف بتلمود أورشليم وتلمود بابل يرجعان إلى القرن الخامس ميلاديّ، وهما تجميع للتقليدَين الكبيرَين؛ التلمود الأورشليميّ مكتوب بالآراميّة / اليهوديّة، ويستعمل نصّ مشنا أقدم من النصّ الذي يستعمله التلمود البابليّ![١٤].

– السِّدُّور [١٥] أو كتاب الصلاة

أوّل مجموعة صلوات يهوديّة رسميّة ترجع إلى رابّي عمرا غاون، سنة ٨٧٥ ب.م. طبعًا هناك سِدُّوريم أقدم من هذا وترجع إلى أزمنة غابرة (٤٠٠ ق.م. وأقدم)[١٦]. هناك أيضًا سِدُّوريم أحدث من سِدُّور عمرام.

يتضمّن السِّدُّور ثلاثة أقسام:

١– الليتورجيّا اليوميّة، «إسمع يا إسرائيل»، والتفِلَّة (الصلاة).

٢– ليتورجيّا السبت والأعياد، مع كلّ الطقوس المرتبطة بها.

٣– صلوات خاصّة بمناسبات عديدة في الحياة:

– صلوات الطعام

– صلوات الزواج

– صلوات على المرضى

– صلوات على الموتى والجنّازات

(١٤) هذا الأخير مكتوب بالآراميّة الشرقيّة وفيه مقاطع كثيرة بالعبريّة، وهو أكثر محافظة في تفسيره النصوص وأكثر إسهابًا من التلمود الأورشليميّ.

(١٥) Cf. J. PETUCHOWSKI, "The Siddur", in *The Lord's Prayer and Jewish Liturgy*, J.J. Petuchowski, M. Broke, éd., London, 1978, p. 47-48.

(١٦) Cf. E. GARFIEL, *The Service of the Heart. A Guide to the Jewish Prayer Book,* New York, 1958, p. 32-36.

٢- هيكليّة الصلاة اليهوديّة

٢، ١ أَلْبَرَكَة

إنّ الذي يقرأ كتب الصلاة اليهوديّة قد يكوِّن انطباعًا أنّها غير منظَّمة تنظيمًا منطقيًّا، وأنّها تفيض بالصلوات والطقوس المتداخلة دون تصميم واضح... هذا صحيح! ولكن، كلّ دارس منتبه لهذه الكتب يعلم أنّها تحتوي هيكليّة واحدة لا تتغيَّر مهما تعددّت الكتب واختلفت الصلوات بين بلد وبلد أو جماعة وجماعة(١٧). هذه الهيكليّة يمكن اختصارها بالتالي:

روح الصلاة وأساسها ومنبعها هو البركة.

وترتبط بالبركة ثلاث صلوات أساسيّة تحيط بها كحلقات حولها:

الحلقة الأولى هي: «إسمع يا إسرائيل».

الحلقة الثانية هي: التِفِلَّة.

الحلقة الثالثة هي: قراءة التوراة.

فما هي صلاة البركة وما هو لاهوتها في الليتورجيّا اليهوديّة؟

إنّها الإعجاب والتسبيح وصلاة الشكر... إنّها التعبير الأفضل عن اللاهوت اليهوديّ الذي يضع الإنسان دائمًا بمواجهة الله، ويحدّد علاقته به وبالعالم وبأقرانه من دون فصل الواحد عن الآخر؛ فالبركة هي التي تجعل الإنسان دائم الاعتراف بأنّ كلّ ما يأتيه هو من الله، وأنّ علاقته بالعالم وبأقرانه وبذاته مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بعمل الله وتدبيره الخلاصيّ. هي عكس اللاهوت النظري، وعكس الأنتروبولوجيا الملحدة التي تنظر إلى الإنسان بمعزل عن الله. وهي عكس

(١٧) Cf. A.E. MILLGRAM, *Jewish Worship*, Philadelphia, 1971, p. 89-92.

الكوسمولوجيّا العلمانيّة التي تنظر إلى العالم بدون خالقه أو بدون الإنسان، كبعض المتعصّبين للبيئة أكثر من الإنسان، وعلى حسابه! إنّها الجامع بين الإنسان وخالقه والعالم بعلاقة محدَّدة، حيث أنّ الله هو المصدر والمنبع والهدف، والإنسان هو المحبوب والمستفيد من خيرات الله، والعالم هو العلامة الحسّيّة على اهتمام الله بالإنسان ومحبّته له:

«مبارك أنت أيّها الربّ الإله القدّوس لأجل...». هذه هي بداية كلّ بركة! إنّها اعتراف من الإنسان بأعمال الله الحسنة تجاهه، واندهاشه أمامها، وشكره وتسبيحه لله الذي هو مصدرها. وهنا لا بدّ من ذكر قصّة رابِّنيّة قديمة عن أهمّيّة البركة، وتتكلّم عن تنافس الحروف الأبجديّة أمام الله لكي يخلق العالم بكلمة تبدأ بهذا الحرف أو ذاك، ولكنّ الله يفضّل أن يبدأ الخلق بكلمة في «البدء» (بريشيت) لأنّها تبدأ بحرف «الباء»، وهو عينه الحرف الذي يبدأ كلمة «بركة»، مع الخلاصة المفيدة أنّ الخلق هو عطيّة الله المجّانيّة؛ إنّه البركة![١٨]

– البركة لكلّ شيء

إذا كان العالم كلّه قد خُلِقَ بالحرف «ب»، كما تقول الأسطورة التي ذكرناها، فلأنّ العالم المؤمن سيبارِك الربّ على كلّ مخلوقاته وعلى كلّ أعماله؛ فالعالم موجود إذا كان مرتكزًا على البركة، ولا هوّيّة له إلاّ إذا كان دائم البركة.

الإنسان مدعوٌّ إذًا ليبارك الله على كلّ شيء!

هنالك بركة خاصّة للطعام: «مبارك أنت، أيّها الربّ إلهنا، ملك الكون، الذي تعطي الخبز من الأرض». وقبل شرب النبيذ: «مبارك أنت، أيّها الربّ إلهنا، ملك الكون، الذي خلقت ثمرة الكرمة».

(١٨) Cf. L. GINZBERG, *The Legend of the Jews*, vol. I, Philadelphia, 1968, p. 5-8.

حتّى الأشياء المحزنة أو المزعجة، كالألم والمرض والظلم، تستحقّ أن يُبارَك الربّ لأجلها: «مبارك أنت، أيّها الربّ إلهنا القاضي العادل».

البركة تعبِّر إذًا عن الذكاء الحادّ والبصيرة عند الإنسان المؤمن الذي يعرف أن يعيد إلى الله كلّ شيء، ويربط كلّ شيء به، وأن يميّز الشرّ نفسه بكونه مناسبة للاعتراف بالله مصدر كلّ خير.

– البركة والتوراة

اذا كان المؤمن يبارك الله من أجل الخيرات الأرضيّة، فإنّه يبارك خاصّة من أجل خيرات التوراة: «مبارك أنت أيّها الربّ إلهنا، ملك الكون، الذي أعطيتنا توراة الحقيقة، والذي زرعت بيننا الحياة الأبديّة».

فالخيرات الأرضيّة هي صورة، ومساعدة للنظر إلى الخيرات الروحيّة التي تعطيها التوراة. وأهمّ ما في التوراة، أي العهد والهيكل والمواعيد المسيحانيّة، تستقطب الكثير من البركات وبخاصّة هذه الأخيرة؛ فهي الرجاء الدائم في عمل الله الخلاصيّ وانتصار مخطّطه لشعبه وللعالم؛ وهذا ما يجعلنا نفهم لماذا يُبارَك الله لأجل الشرّ، كما يُبارَك لأجل الخير(١٩)؛ فليس لأجل الشرّ تُعلن البركة بل لأجل الإيمان بأنّ الله سينتصر على كلّ شرّ، محقّقًا مواعيده؛ فالشرّ مهما عظم واستشرى، يبقى مؤقّتًا ومحدودًا. والله يسمح به ليذكّرنا بالخير الأوحد الذي هو الحياة الدائمة معه حيث لا شرَّ ولا عذاب. كلّ هذا اللاهوت أساسه في رجاء المواعيد المسيحانيّة.

– البركة والدهشة

إن المعنى الأساسيّ لكلمة «أعجوبة» هو في كونها خلق الله الذي يظهر عظمته

(١٩) Cf. *Talmud Babylonien*, Ber 56b.

وحبّه وقدرته؛ فالشمس هي أعجوبة دائمة كلّما ظهرت واختفت في الأفق، وهي أعجوبة في حرارة نورها... والقمر كذلك... والطبيعة كلّها تدعو الإنسان إلى الدهشة والتأمّل بعظمة الربّ... والإنسان الذي يعتاد هذه الأشياء أو يحسبها وكأنّها تحصيل حاصل، يكون غبيًّا وغير قادر على الصلاة ومباركة الله، والذي يذهب باحثًا عن الخوارق والأعاجيب غير المعتادة يكون جاهلاً لله ولا إيمان له!

إنّ الأعجوبة، في الكتاب المقدّس، هي عمل الله الدائم في الكون، عمل الخلق والحياة والخلاص. والذي يبارك الله لأجل هذه الأشياء التي في الكون هو الحكيم الذي يعرف أن يعيدها إلى أصلها، أي إلى كونها قد خلقت، وهي في الوجود بفضل هذه الأعجوبة المستمرّة التي هي عمل الله في خلقه!

– البركة ومخافة الله

واجب أن ينتبه الإنسان إلى أنّ كلّ شيء مخلوق! ولأنّه كذلك، فالبركة تبيّن معنى وجود كلّ شيء: إنها علامات حضور الله في العالم وتأكيد لرغبته الطيّبة التي لأجلها خلق كلّ شيء! فالذي يكتشف ذلك، يكتشف «مخافة الله»، وتصبح البركة على لسانه. إنّها النظر إلى كلّ شيء من خلال معناه المغلق المرتبط بالله. والإنسان عاجز عن فهم المعاني الكاملة لكلّ الأشياء، بل هو يفهم شيئًا منها، لذلك يعرف أن يخاف الله الذي يعرف المعنى المطلق لوجودها، لأنّه هو الذي خلقها.

– البركة والعطيّة

البركة هي اعتراف بأنّ كلّ شيء في العالم هو عطيّة مجّانيّة من الله، أي أنّ الله هو صاحب كلّ شيء ومالك كلّ شيء. هذا يعيد الأمور إلى نصابها على مستويات أربعة:

١– الله هو المركز وليس أنا!

٢ – أنا أستقبل عطايا الله ولست أنا المالك (المجّانيّة).

٣– ليست الأشياء أشياءً بل عطايا! في البركة كلّ شيء هو عطيّة مجّانيّة، بدونها كلّ شيء تجارة!

٤– الأشياء التي هي عطيّة من الله، هو مالكها، وهي تساعد الإنسان على الإصغاء إلى الله، وعلى طاعته، وعلى عدم استغلال الأشياء لأنانيّته.

كلمة الله صادقة لأنّ عطاياه للإنسان كثيرة، وهو لا يأمر بشيء لأنّه يريد أن يأخذ لنفسه شيئًا، بل يريد أن يستفيد الإنسان من عطاياه لخيره الأسمى!

– البركة والمشاركة في الخيرات

في قصّة سفر الخروج، في الفصل ١٦، تعليم حكيم جدًّا عن الإيمان بالعناية الإلهيّة اليوميّة، التي أعطت الشعب في الصحراء، حاجته اليوميّة من الطعام دون زيادة أو نقصان، بحيث أنّ الجميع يشاركون في الخيرات، كلٌّ حسب حاجته، وحيث لا حاجة إلى التخزين وأخذ الخيرات من أمام القريب.

– البركة والفرح

الإنسان الذي يمتلئ قلبه بالسلام مع الأشياء ومع الله، والعالِم أنّ كلّ شيء يؤول إلى خيره، والمؤمن بأنّ الله أعطاه كلّ ما يحتاجه، هو الذي يعيش الملء لأنّه يميّز محبّة الله، ولذلك يبقى في الفرح الدائم بالله(٢٠).

– البركة والطلب

إنّ صلاة البركة هي الصلاة الكاملة والوحيدة لمن يعيش اختبار الله. ويقول

(٢٠) Cf. L. GINZBERG, *op. cit.*, p. 14-15.

الرابّينيّون بأنّ كلّ الصلوات ستتوقّف في يوم المسيح ما عدا صلاة الشكر والبركة(٢١). ولكنّ الإنسان يعيش أيضًا اختبارات الخطيئة والشكّ والظلم والاضطّهاد... وهو لذلك يحتاج أن يطلب، لأنّه يحتاج إلى أن يدعو الله لإصلاح ما أفسدته خطيئته وخطيئة الآخرين.

– تعلن البركة لأجل ثلاث عطايا أساسيّة:

١– لأجل خيرٍ ما .

٢– لأجل التوراة والخير الأسمى الذي فيها.

٣– لله بحدِّ ذاته في قدرته وعظمته وحبّه.

– شكل البركة :

هناك البركة المباشرة: «مبارك أنت أيّها الربّ، لأنّك....».

وغير المباشرة: «مبارك الربّ إلهنا، لأجل ما أعطانا ....».

٢، ٢– أسس الصلاة الثلاثة: إسمع يا إسرائيل، الصلاة، قراءة التوراة.

الأساس الأوّل: «إسمع يا إسرائيل»(٢٢).

– أصلها

هذه الصلاة هي مجموعة من ثلاثة مقاطع كتابيّة وكثير من البركات في المقدّمة وفي الخاتمة. لا شكّ في أنّ أصلها يعود إلى أزمنة ما قبل المسيح، ولا شكّ في أنّ المسيح نفسه قد صلاّها وكذلك فعلت الكنيسة الأولى(٢٣).

(٢١) Cf. W.G. BRANDE, *The Midrash on Psalms*, vol. I, New Haven, 1959, p. 498.

(٢٢) Cf. L. JACOBS, "Shemaa", *Encyclopedia Judaica*, Jerusalem, 1971, p. 1371-1974.

(٢٣) Cf. W.O.E. OESTERLEY, *The Jewish Background of the Christian Liturgy*, Oxford, 1925, p. 44.

فكيف يحتفل بها؟

هناك نصّ في المشنا يقول بأن البداية هي صلوات بركات متعددة، ثم تتبعها قراءة نصّ الوصايا العشر (خر ٢٠، تث ٥)[٢٤]؛ ثم قراءة من ثلاثة نصوص «إسمع»، وهي نصّ «إسمع يا إسرائيل»، (تث ٦: ٤–٩)؛ ثم نص «وإن سمعتم...» (تث ١١: ١٣–٢١)؛ وأخيرًا نصّ «وقال الربّ لموسى» (عد ١٥: ٣٧–٤١). ثم تتبعها ثلاث بركات للشعب، وهي البركة الثابتة، وبركة العبادة (شكر الله لأجل العبادة في الهيكل)، ثم البركة الكهنوتيّة التي نجدها في عد ٦: ٢٤–٢٦[٢٥].

زد عليها بركة رابعة ليوم السبت عند خروج الحرس من الهيكل. أمّا عن وقت تلاوة هذه الصلاة فهي طبعًا في المجمع ولكن أيضًا في البيت. وإننا لنجد نصًّا ذات أهمية كبرى في المشنا حيث ينقل لنا رأيي المعلمين الكبيرين اللذين عاشا في عصر هيرودس الكبير، وهما صاحبي مدرستين للتفسير، أعني شمعي وهلّل. فالأوّل ينصح بأن تقام هذه الصلاة في المساء وفي الصباح وكذلك الثاني. ولكن الأوّل يعتبر بان الواجب يقضي بأن يتلوها الإنسان وهو ممدّد في الفراش ليلاً، وواقفًا على رجليه صباحًا، وذلك ارتكازًا على نصّ تث: «وَرَدِّدْها ...إذا نمتَ وإذا قمتَ». بينما يعتبر الثاني أنّ تلاوتها هي المهمّة، وليس ذلك مرتبط بوضعيّة جسديّة معيّنة.

هذه الصلاة هي فعل الإيمان الأوّل والأساسي لشعب إسرائيل[٢٦]. إنها الصلاة التي ترافقه في كلّ مكان، في حلّه وفي رحاله. ولذلك فالتلمود والمشنا يكرسان

(٢٤) لاحقًا لم يعد يقراء هذا النصّ لأن البعض اعتبر انه يعفي من حفظ الوصايا الأخرى التي لا تُقرأ.

(٢٥) Cf. Mishna, Tamid 5:1.

(٢٦) Cf. E. MUNK, *La voie de la Torah, Commentaire du Pentateuque, Deutéronome*, Paris, 1981, p. 60-61.

صفحات عديدة (٢٠٠ صفحة في التلمود) لشرحه والتعليق عليه... وكما يقول الرابّينيّون، فإنّ هذه الآية هي التي اختيرت من بين ٤٨٧٥ آية في الكتاب المقدّس لتكون العلامة الفارقة لشعب إسرائيل، وهي التي حملها معهم كلّ الشهداء إلى الموت شهادة للربّ ولإيمان شعبه.

– لاهوتها

١– الإيمان بالله الواحد:(٢٧)

إنّ الإعلان الأوّل في هذه الآية هو «إسمع». والحقيقة أنّ اللاهوت الكتابيّ عن الله يشدّد على أنّه «الكلمة». من هنا مفهوم العهد أنّه «كلمة الله التي يستقبلها إسرائيل ويعيش منها وبها». وبهذا المعنى فالعالم كلّه «قائم ويسير» بكلمة الله وإرادته، وإسرائيل هو الذي يصغي إلى هذه الكلمة ويعمل بهذه الإرادة؛ فالعالم ليس قائمًا بذاته (بنوع من الميكانيكيّة الذاتيّة) ولا بالصدفة، ولا على قوانين «وُضِعت» ويسير لوحده بموجبها! العالم موجود لأنّ الله «الموجود» حاضر ويعمل، ويقود العالم بكلمته.

إنّ الله الواحد هو إله العالم كلّه، الذي يعترف به إسرائيل ربًّا له: «إسمع، يا إسرائيل، إنّ الربّ إلهنا هو ربّ واحد»؛ إنّ هذا التعبير لا يقول إنّ إلهنا الربّ... وكأنّه إله إسرائيل وحده، بل «إنّ الربّ» .. أي أنّه ربّ الكلّ ...(٢٨)، وهذا الله الواحد هو واحد بحسب خبرة إسرائيل التاريخيّة، لأنّ إسرائيل اختبر في التاريخ، وليس نتيجة تفكير فلسفي، أنّ فيه وحده الحياة والخيرات والخلاص. ولذلك فكلّ ما يطلبه الله من الإنسان هو أن «يسمع لكلمته» لأنّها تقوده إلى الخير الأوحد الآتي منه وحده.

(٢٧) Cf. A. RIZZI, *Differenza e responsabilità*, Casale Monferrato, 1981, p. 22-23.

(٢٨) Cf. E. MUNK, *Idem*.

٢- تحقيق «ملكوت الله»

إنّ آية سفر التثنية تقول: أحبب الربّ إلهك من كلّ قلبك...والرابّينيّون يفسّرونها بأنّها تعني: «خذ ملكوت الله على عاتقك». فإذا كان الله هو الملك الأوحد، فمع ذلك فإنّ ملكوته لا يتحقّق بدون أناس يأخذونه على عاتقهم بكلِّ كيانهم. إسرائيل يعتبر بأنّ دعوته الأساسيّة هي في أن يعلن ويحقّق هذا الملكوت الإلهيّ الذي ظهر له جليًّا في حدثَين أساسيَّين، هما أساس اللاهوت اليهوديّ:

لاهوت الخلق: ويقوم على اختبار أنّ الله هو خالق كلِّ شيء.

لاهوت التاريخ والخلاص: ويقوم على اختبار أنّ الله هو الذي يخلّص كلّ مَن يؤمن به؛ وأكبر دليل على قدرته الخلاصيّة هي «الخروج»! وكما أنّ الخلق هو الذي نقل الكون من الفوضى إلى الوجود، فالخروج هو الذي نقل إسرائيل من العبوديّة إلى الحرّيّة في ملكوت الله (أرض الميعاد هي علامة هذا الملكوت). لذلك يعلن «إسمع يا إسرائيل» بمثابة استحضار لهذه القدرة الإلهيّة الخلاّقة و المخَلِّصة. ولذلك فإنّ تلاوة «إسمع يا إسرائيل» تبعد الشياطين!

٣-إسرائيل الشاهد لِلَّه

تتضمّن وصيّة إسمع يا إسرائيل حرفَي «ع» و «د» في آخر «شمع»، وفي آخر «إحد». وهذان الحرفان يشكلاّن كلمة «عِدْ» التي تعني «الشاهد»؛ فإسرائيل يعرف أنّ اعترافه بالله الواحد ليس لذاته فقط بل للعالم. إنّه شاهد لله في العالم. والشهادة هذه هي التي تحرِّك صلاته الدائمة لـ«شَمَعْ يِسرَائِل». ولذلك فهناك مئات من الشهود الذين ماتوا في التاريخ استشهادًا لإيمانهم هذا، وأشهرهم رابّي عقيبه، في القرن الثاني الميلادي، الذي مات وهو يردِّد صلاة الـ«شِمَعْ»، معلنًا أنّ استشهاده هو أفضل تحقيق لمضمونها القائل: «أحبب الله من كلّ قلبك وعقلك وقوّتك»[٢٩].

(٢٩) Cf. M. LEHMANN, *Rabbi Akiba*, Paris, 1979, p. 229.

– لاهوت ومضمون القراءات الثلاث التي تتلى مع الـ «شِمَعْ»

١– تث ٦: ٤–٩: «إسمع يا إسرائيل...»

يشدد هذا النصّ على عدّة وصايا أساسيّة يمكن اختصارها بما يلي:

طلب الإصغاء إلى كلمة الله لأنّه «واحد».

محبّة الله محبّة جذريّة وكيانيّة دون تجزئة.

الحفاظ على الوصايا في «القلب»، أي عبادة داخليّة صادقة بموازاة العبادة الخارجيّة الظاهرة (لاهوت نبويّ).

ضرورة نقل الإيمان إلى الأولاد وخاصّة في العائلة، حيث المكان المفضّل والأفضل.

المحافظة الدائمة على هذه الوصايا وغيرها من خلال الإطار الحياتيّ كلّه، وفي كلّ المناسبات وحسب الحاجة وحسب الظروف؛ فأينما كان المؤمن يجب أن يحافظ على هذه الوصايا ويعمل بها في الإطار المناسب (تعليقها على الجبهة وفي أطراف الثوب وعلى باب البيت ...).

إنّ اللاهوت الأساسيّ لهذه الوصايا هو الاعتراف بأنّ كلمة الله (الوصيّة) هي كلمة للحياة، وليست قانونًا مفروضًا. فالذي يعترف بقلبه وعقله وجسده وحياته كلّها بحضور الله، ويعرف أنّ هذا الحضور هو حياة، يحافظ على كلمة الله (الوصيّة) بكونها الكلمة التي تقود إلى الحياة وتضمن عدم حياده عنها.

٢– تث ١١: ١٣–٢١

هذا النصّ يحتوي خاصّة على ثمار الطاعة لكلمة الله ووصاياه. وهذا النصّ يؤكّد من الناحية اللاهوتيّة أنّ الخير الزمنيّ مرتبط بالخير الروحيّ؛ فالذي يسمع ويحفظ كلمة الله ويعمل بها ينال الخيرات الأرضيّة والبركة، لأنّ البركة وخصب الأرض مرتبطة كلّها بمحبّة الله وبقدرته الخالقة. فالله هو الذي يعطي الخيرات

لأنّه الخالق، وهو الذي يمنع الكوارث لأنّه الخالق والمخلّص والربّ، والطاعة له والاتكال عليه يقودان إلى المشاركة في خيرات خلقه وخلاصه.

أمّا الإنسان الذي يؤلّه الطبيعة (ديانات الكنعانيّين)، ويؤلّه نفسه (الاعتقاد بأنّ الخبرة والمعرفة والعمل الزراعيّ هي التي تؤمّن جودة المحصول وخصب الأرض) فلا يجد سوى أرضٍ ملعونة بغياب الله عنها (تك ٣: ١٨).

لذلك فالوصيّة الأساسيّة تبقى هي هي: «إسمع يا إسرائيل...».

٣- عدد ١٥-٣٧-٤١

هذه الكلمة تأمر إسرائيل بأن يصنع له أهدابًا في ذيل ثيابه لكي يتذكّر من خلالها وصايا الله كلّها.

ليست هذه الأهداب إذًا شيئًا سحريًّا، بل علامة ذكرى:

ذكرى أنّ صاحب الثياب ذات الأهداب هو مكرّس للربّ.

ذكرى أنّ المكرَّس للربّ لا يزني.

ذكرى أنّ من لا يزني هو من يعمل بوصايا الربّ.

خلاصة هذا النصّ: أنا الربّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر، ليكون لكم إلهًا: أنا الربّ إلهكم» (آ ٤١). إنّها الخاتمة الأساسيّة لكلّ صلاة الـ «شِمَعْ»، وتتضمّن ثلاثة إعلانات كبرى:

– الله هو إله إسرائيل؛ هو سيّده الأوحد الذي له يجب أن يسمع (شِمَعْ)، والذي إليه ينتمي بصفات عديدة، نذكر منها: إسرائيل هو خاصّته (خر ١٩: ٥)؛ ميراثه (خر ٣٤: ٩)؛ شعبه (أش ١: ٣)؛ خادمه (أش٤٤: ٢١)؛ مختاره (أش ٤٥: ٤)؛ ابنه البكر (خر ٤: ٢٢؛ هو ١١: ١)؛ قطيعه (مز ٩٥: ٧)؛ (كرمته (أش ٥: ٧)، وسلطنته (مز ١١٤: ٢)، وعروسه (هو ٢: ٤)...

– هذه السيادة الإلهيّة على إسرائيل هي لتحريره لا لاستعباده: الله هو محرِّر إسرائيل! أليس هو الذي أخرجه من عبوديّة مصر؟

– إسرائيل إذًا ينتمي إلى الربّ، لذلك فإن تحريره من عبوديّة فرعون هدف إلى جعله عابدًا للربّ وشاهدًا له، كما قلنا سابقًا.

إذا، إسرائيل حرّ بقدر ما يعبد الله، وهو عبد بقدر ما ينسى وصايا الله ويتحرَّر منها!

– البركات التي ترافق الـ«شِمَعْ» صبحًا ومساءً:

هناك ثلاث بركات صباحيّة وأربعة مسائيّة.

البركات الصباحيّة التي تسبق الـ «شِمَعْ» هي اثنتان وتتبعها بركة واحدة.

البركة الأولى معروفة باسم «يوتسير أور»، «صانع النور»، وهي تبارك الله لأجل النور، رمز كلّ غنى ألوان الخليقة المختلفة.

وهذه ترجمتها:

«مبارك أنت أيّها الربّ إلهنا، ملك الكون، الذي يصنع الأنوار ويخلق الظلمات، الذي يحقّق السلام ويخلق كلّ شيء. برحمتك تنير الأرض وسكّانها... يا سيّد العظائم، الذي بطبيعته يجدِّد كلّ يوم عمل الخلق الأوّل... وكما يقال: «باركوا الذي يخلق النيّرات الكبرى، لأنّ إلى الأبد رحمته! مبارك أنت يا ربّ، أنت الذي تصنع النيرات!».

البركة الثانية هي لأجل عطيّة التوراة، ومعروفة باسم «بِرْكَةْ هَتُّورَهْ»، أو من خلال الكلمات الأولى التي تبدأ بها: «أَحَبَهْ رَبَهْ»، وهي كما يشير عنوانها مباركة للربّ لأجل عطيّة التوراة، لأنّها تعبِّر أكثر من الخلق عن محبّة الله لإسرائيل وللبشريّة.

وهذه ترجمتها:

«بحبّ كبير أحببتنا أيّها الربّ إلهنا! أظهرت لنا رحمة فائقة! يا أبانا، وملكنا ... وقد علّمت آباءنا قوانين للحياة؛ كن رحومًا أيضًا معنا وعلِّمنا.

يا أبانا، أيها الآب الشفوق، إرحمنا... مبارك الربّ الذي اختار إسرائيل بحبّه!»

– البركة الثالثة، واسمها «إِمِتْ وِيشِيفْ» أي «حقّ وأكيدة»، وهي إعلان المطاوعة لله والطاعة للتوراة.

وهذه ترجمتها:

«حقّ وأكيدة، ثابتة ودائمة، مستقيمة وأمينة، محبوبة ومحبّة، مرغوبة وعذبة، مبجّلة وفائقة، عزيزة ومقبولة، حسنة وجميلة! نعم، هكذا هي الكلمة بالنسبة إلينا (يعني كلمة شَمَعْ) ...مبارك أنت أيّها الربّ الذي تفتدي إسرائيل».

وكما سبق وذكرنا، فهناك أيضًا البركات المسائيّة الأربعة: اثنتان قبل الـ «شِمَعْ» واثنتان بعده.

نختصر العرض هنا بالقول:

البركة الأولى هي: مَعَرِيفْ عَرَبِيم، أي «أنت الذي تحلّ الليل»، وهي صلاة شكر للربّ لأجل تعاقب الليل والنهار.

البركة الثانية هي: «أُهِبِتْ عُولَمْ»، أي «المحبّة الأبديّة»، وهي مباركة للربّ على حبّه مثل الصباح، أي لأجل عطيّة التوراة.

البركة الثالثة هي: «إِمِتْ وإِمُونَهْ»، أي «الحقيقة المطلقة والأبديّة»، وهي تعلن الله مخلِّصًا ومحرِّرًا.

البركة الرابعة هي: «هَشْكِيفِينُو»، أي «أعطنا البركة للنوم»، وهي تطلب من الله أن يعطي عباده ليلة طيّبة ويبعد عنهم كلّ خطر.

الأساس الثاني: الصلاة (التِفِلّه)

تشكّل «التِفِلّه» المركز الثاني الرئيسيّ للصلاة اليهوديّة، وهي تُتلى في ليتورجيّة المجمع، أو في الصلاة الفرديّة مباشرة بعد الـ «شِمَع»، أي بعد البركة الأخيرة التي تلي الـ «شِمَع» صباحًا ومساءً وظهرًا.

– أسماؤها

لهذه الصلاة ثلاثة أسماء. الأوّل مرتبط بفعل פלל، أي «لاحظ، فحص، حكم». وهي تعني: فَحَصَ ذاته وحكم على ذاته؛ إذًا الصلاة هي هذا العمل الذي يساعد الإنسان على فحص ذاته ومعرفة ذاته (أمام الله) وأمام توراة الله. الإنسان يصحِّح مسيرته أمام الله وطبقًا لمشيئته؛ فالصلاة المقبولة لدى الله تعني أنّ ما أطلبه يوافق مشيئته، وإن لم يستجب الربّ لي فهذا يعني أنّ ما أطلبه غير موافق لمشيئته! ولذلك فالمصلّي يصحِّح معرفته لما هو خيره طبقًا لمشيئة الله، ويتخلّى عن طلب ما لا يريد الله أن يعطيه إيّاه (على الأقل في الوقت الحاضر).

فليس لله أن يحقّق «ما نريده نحن»، بل علينا نحن أن نوافق رغباتنا وطلباتنا مع مشيئته، وهذا ما تساعد الصلاة في الوصول إليه.

الاسم الثاني هو «شمونه عسره»، أي الثمانية عشرة، وهذا ببساطة لأنّها مؤلَّفة من ثماني عشرة «بركة»(٣٠).

الاسم الثالث هو «عَمُودَهْ»، من فعل «عَمَدْ»، أي انتصب واقفًا؛ فهذه الصلاة تتلى وقوفًا والوجه نحو أورشليم – أمّا معنى الوقوف فهو، من جهة، الاستعداد والطواعية للقيام بخدمة الله، ومن جهة ثانية، أن المصلّي يقف كرجل حرّ أمام الله(٣١).

(٣٠) Cf. A.E. MILGRAM, *Jewish Worship*, p. 106.

(٣١) رج سي ٥٠: ١٣؛ خر ٢٠: ٢١؛ ٣٨: ١٠؛ عد ٨: ٥.

- أصلها وهيكليّتها

تعود في أصلها إلى العصر المسيحيّ (القرن الثاني ق.م.). وذلك في ما يختصّ بهيكليّتها العامّة، التي زيدت عليها بدون شك تفاصيل مختلفة عبر العصور؛ مثلاً، تحوّلت من ثماني عشرة إلى تسع عشرة بركة.

تفصيلاً، يعتبر رابّي J. H. Hertz أنّ البركات الثلاث الأولى (التسابيح) تعود إلى القرن الرابع ق.م؛ وتعود البركات الثلاث الأخيرة (أفعال الشكر) إلى القرن الثاني ق.م. (عصر المكّابيّين)؛ وتعود الطلبات إلى حقب مختلفة، ابتداءً من القرن الأوّل الميلاديّ على الأقلّ، أي منذ مجمع يَمْنِيَا الذي حدّد عدد هذه البركات ورتّبها.

نجد المرجع الأساسيّ عن هذه الصلاة في الفصل الخامس المسمَّى «بركوت» في المِشْنَا، ولها اثنان من فصوله التسعة.

١-٣ ⟵ [الشِمَعْ]

٤-٥ ⟵ [التِفِلَّه]

٦-٩ ⟵ [البركات الأخرى ؟ زواج - طعام]

- الصلاة في أيّام السبت والأعياد

تتلى هذه الصلاة كاملة في الأيّام العاديّة! أمّا في الأعياد والسبوت فلا تتلى منها سوى الثلاثة الأولى (التسابيح) والثلاثة الأخيرة (أفعال الشكر). والسبب بسيط: أيّام الأعياد والسبوت هي أيّام الامتلاء حيث يدخل المؤمن في العيد والشالوم. فهو لا يحتاج إلى أن يطلب شيئًا من الله، بل تعد له التسابيح والشكر، كما ستكون الحال دائمًا في العصر المسيحانيّ.

إنّه وقت الفرح ولا مكان فيه للطلبات! في هذه الأيّام عدا عن البركات الستة المذكورة، تزاد صلاة واحدة أو ثلاثة جديدة تسمّى: «مبارك انت يا ربّ، الذي

تقدِّس السبت»... وتتضمّن هذه الصلاة تأمّلاً لاهوتيًّا بمعنى السبت:

– اليوم الذي هو ذكرى الخلق (صلاة المساء)؛

– اليوم الذي فيه أعطيت التوراة وهو رمز العهد (صلاة الصباح)؛

– اليوم الذي فيه الراحة والشالوم واستباق العصر المسيحانيّ الذي فيه الراحة التامّة والكاملة (صلاة الظهر).

– هيكليّتها

أ– ثلاث بركات في البداية

١– أنت الله

٢– انت القدير } تسابيح

٣–أنت القدّوس }

ب– ١٣ بركة مركزيّة: طلبات

٤–طلب

٥–الندامة الخيرات الروحيّة } الفهم

٦– المغفرة }

٧–الحرّيّة الشخصيّة

٨–الصحّة } الخيرات المادّيّة

٩– الخيرات }

١٠– جمع المشتَّتين

١١–العدالة الكاملة

١٢–عقاب الأشرار والأعداء }

١٣– مكافأة الأبرار }

١٤– لأجل أورشليم الجديدة } الخيرات الاجتماعيّة

١٥– لأجل مجيء المسيح
١٦– لأجل قبول الصلوات

ج– ثلاث بركات الختام

١٧–أعد العبادة إلى الهيكل في أورشليم
١٨– إقبل فعل شكرنا
١٩– أعطنا السلام

} أفعال شكر

وهذه ترجمتها:

١– مبارك أنت، أيّها الرّبّ إلهنا، إله آبائنا،

إله إبراهيم وإسحق ويعقوب؛
الإله العظيم، القويّ والكلّيّ القدرة.
الإله العليّ، الواهب وخالق كلّ شيء.
تذكّر ورع آبائنا، وأتِ بالمخلّص إلى ولد ولدهم،
من أجل اسمك وبنعمة محبّتك.
أيّها الملك المحرِّر،
المعين، المخلّص والنّصير.
مباركٌ أنت يا ربّ، ستر إبراهيم!

٢– أنت أبديّ القدرة، يا ربّ،

أنت الذي تقيم الموتى،
أنت الحكيم بإعطاء السلام (في الصيف يقال: «أنت الذي تأتي بالنّدى – في الشتاء:«أنت الذي تجعل الريح تعصف والمطر يهطل»)
نعمته تُقيت الأحياء ورحمته اللامتناهية تقيم الموتى.

هو يسند الذي يقعون، يشفي المرضى، يحرِّر الأسرى ويحافظ بوفاء على وعده.

مَن مثلك أيّها الكلّيّ القدرة؟

مَن يشبهك، أيّها الملك، أنت الذي تميت وتحيي،

مَن يشبهك أنت الذي تزهر لنا السلام؟

نعم، وفيّ بوعدك بإقامة الموتى!

مباركٌ أنت يا من تقيم الموتى!

٣- من جيل إلى جيل نعلن ملك الله،

لأنّه وحده عليّ وقدّوس.

ليكن تسبيحك يا ربّنا دائمًا، فلا يغرب عن شفاهنا لأنّك إله وملك، عظيم وقدّوس.

٤- تمنح الإنسان نعمة المعرفة، وتربّي الخلائق الفانية على الفهم.

إمنحنا نعمة المعرفة، الفهم والتمييز!

مبارك أنت يا ربّ، أنت الذي تمنحنا نعمة المعرفة!

٥- رُدّنا إلى شريعتك، يا أبانا، واجعلنا نحافظ على وصاياك.

قرِّبنا من عبادتك، يا ملكنا،

واجعلنا نعود إلى حضرتك باهتدائنا الكامل.

مبارك أنت يا سيّدنا، أنت الذي تقبل التوبة.

٦- إغفر لنا، يا أبانا، لأنّنا خطئنا

إرحمنا يا ملكنا لأنّنا عصيناك.

أنت في الحقيقة الإله الطيّب والذي يغفر.
مبارك أنت يا ربّ، أنت الذي ترحم
أنت الذي تغفر بوفرة.

٧- نتوسّل إليك، أنظر إلى بؤسنا ودافع عن قضيّتنا؛

أسرع بخلاصنا، يا ملكنا، من أجل اسمك
لأنّك إله قدير وإله مخلِّص.
مبارك أنت يا ربّ، مخلّص إسرائيل!

٨- إشفنا أيّها الربّ إلهنا وسوف نشفى؛

خلِّصنا وسوف نشفى لأنّك مجدنا.
إمنحنا شفاءً كاملاً لكلّ أمراضنا،
لأنّك إله شافٍ وحنون ووفيّ.
مبارك أنت يا ربّ، أنت الذي تشفي المرض وتشفي شعبك إسرائيل.

٩- أيّها السيّد إلهنا،

بارك هذه السّنة وغلالها لخيرنا.
أعط الندى (او المطر) كبركة على كامل وجه الأرض،
وأشبع من بركاتك العالم كلّه.
إمنح البركة والوفرة والنجاح لكلّ ما تصنعه أيدينا،
وبارك سنواتنا مثل السنوات الماضية التي باركت.
مبارك أنت يا ربّ، أنت مَن يبارك السنوات.

١٠- إجعل البوق الكبير يدوّي من أجل تحريرنا؛

إرفع راية لجمع شعبنا المشتّت؛ ومن أقطار العالم على أرضنا.
مبارك أنت يا ربّ، يا من يجمع مشتّتي شعبك إسرائيل.

١١- أعد إلينا قضيّتنا كما في الماضي، ومستشارينا كما في البدء.

ليَسُد سريعًا حكمك وحدك علينا،

بنعمتك ورحمتك، بالمحبّة والعدل!

مبارك أنت يا ربّ، أنت الملك الذي تليق به المحبّة والعدل.

١٢- من أجل المفترين والهراطقة، كي لا يكون لهم رجاء،

ولكي ينسحقوا في لحظة. لينسحق كلّ أعدائك بأسرع ما يمكن ولتكن أنت مَن يخزيهم.

مبارك أنت يا ربّ، يا من يسحق الأعداء ويخزي المتكبّرين!

١٣- على الصالحين والأبرار وكذلك على كلّ باقي شعبك وعلى بيت إسرائيل،

ليؤثّر حكمك من جديد أيّها الربّ إلهنا.

كافئ بكرم كلّ الذين يجعلون، بإخلاص، ثقتهم باسمك؛

إجعلنا نتشارك بمصيرهم في العالم الآتي (المقبل)، لكي لا نكون مخزيّين، لأنّنا نحن أيضًا نجعل ثقتنا بك، يا ملك الكون.

مبارك أنت يا ربّ، عون الأبرار وثقتهم.

١٤- برحمتك، إرجع إلى أورشليم، مدينتك. أعدها بناءً أبديًّا، سريعًا،

في أيّامنا هذه!

مبارك أنت يا ربّ، يا مَن يعيد بناء أورشليم.

١٥- نبت داود، خادمك، إجعله ينمو سريعًا.

حُثّ قوّته بسلامك،

لأنّنا بسلامك نضع رجاءنا كلّ يوم.

مبارك أنت يا ربّ، يا مَن يزهر قدرة السلام!

١٦- إسمع صوتنا، أيّها الربّ إلهنا وارحم؛ عاملنا بالطيبة والرحمة.

إقبل صلواتنا، أيّها الرحوم والعطوف لأنك أبٌ جزيل الرحمة!

هو الأبديّ، ولن نترك حضرته وأيدينا فارغة، لأنّك إله يستمع إلى صلاتنا.

مبارك انت يا ربّ، يا من يسمع الصلاة.

١٧- هل تستطيع أن ترضى بشعبك إسرائيل وتتقبّل صلاته، أيّها الربّ الإله؟

أَحْيِ عبادتك في قدس بيتك، لكي تتقبّل، بلا تأخّر، صلوات إسرائيل بمحبّة وعطف.

لتكن عبادة شعبك إسرائيل مقبولة لديك دائمًا.

هل نستطيع أن نرى بأعيننا عودتك إلى صهيون وأورشليم، مدينتك، بمحبّتك كما في الماضي؟

مبارك أنت يا ربّ، يا مَن يعيد حضوره إلى صهيون!

١٨- نرفع إليك الشكر، لأنّك الربّ إلهنا وإله آبائنا.

نرفع إليك الشكر من أجل حياتنا التي نسلّمها بين يديك، ومن أجل روحنا التي نودعها لدى عنايتك؛

نرفع إليك الشكر من أجل الأبرار الذين تقيمهم في ما بيننا يومًا بعد يوم؛

نرفع إليك الشكر من أجل الروائع والأعمال الصالحة التي تصنع في كلّ وقت، في المساء، والصباح وفي المنتصف الليل.

أنت صالح: محبّتك لا تنقصنا أبدًا، منذ الأزل، كنت لنا أملاً (رجاءً)، لم نكن أبدًا خائبين. لم تتركنا ولم تغرب وجهك عنّا.

مبارك أنت يا ربّ: إنّ اسمك هو الأعظم، وبك وحدك يليق التسبيح.

١٩- أعطنا أيّها الربّ، سلامًا، فرحًا، ورحمةً لنا ولكلّ شعبك إسرائيل.

باركنا جميعًا يا أبانا، بنور وجهك، لأنّه بنور وجهك أعطيتنا، أيّها الربّ

إلهنا، شريعة للحياة وللمحبّة وللنعمة وللعطف وللبركة والرحمة وللحياة وللسلام!

تفضّل ببركتنا، نحن وكلّ شعبك إسرائيل دائمًا وفي كلّ وقت، وفي كلّ ساعة، وفي سلامك.

مبارك أنت يا ربّ، يا من تبارك شعبك إسرائيل في سلامك،

آمين

– تفسيرها

أوّلاً: البركات الثلاث الأولى

كما قلنا، هذه الصلوات الثلاث تدعى بركات التسبيح، وفيها موضوع تمجيد اسم الله.

البركة الأولى تدعى «آبوت، «الآباء»، لأنّها تتوجّه إلى الله كونه «إله الآباء».

البركة الثانية تدعى «جبوروت»، «القدرة»، لأنّها تحتفل بأعظم أعمال الله التي تظهر قدرته وقوّته.

البركة الثالثة تدعى «قَدُوشِتْ هَشِّمْ»، «تقديس الاسم»، لأنّها تتكلّم عن حرّيّة الله المقدّسة والعظمى.

هذه البركات الثلاث تجيب على سؤالين كبيرين:

١– مَن هو الله بالنسبة إلى الإنسان؟

٢– ومن هو الإنسان بالنسبة إلى الله؟

الجواب على السؤال الأوّل في إعلان صفات ثلاث عند لله: «جَدُولْ»، «كبير»، «جِبُّورْ»، «قدير»، «قَدُوشْ»، «قدّوس».

فالله كبير في حبِّه كما ظهر ذلك في حياة الآباء، وهو قدير في أعماله كما يظهر ذلك عمل الخلق وقيامة الموتى، وهو قدّوس في اسمه كما تستمرّ في إعلانه أجواق الملائكة.

الجواب عن السؤال الثاني هو في أنّ الإنسان يجب عليه أن يعترف بهذه الحقائق الثلاث الكبيرة ويعلنها في الجماعة وفي صلاته الخاصّة. طبعًا هذان الاعتراف والإعلان يصبحان واقعيَّين عندما: يقبل الإنسان حبّ الله «حِسِدْ»، ويعترف بأنّه موجود بفعل هذا الحبّ والعهد الناتج عنه. وعندما يتخلّى الإنسان عن مشيئته وقوّته، فإنّه يعترف بقدرة الله، ويستسلم لأعماله الخلاصيّة، ويقبل أن يقرأ حياته وموته على ضوء هذه القدرة. وأخيرًا، عندما ينحني أمام عظمة الله التي لا تُسبَر، ويخشع أمام عُمقِه الذي لا يُدرَك (رو ١١: ٣٣)، فإنّه يعترف بقداسته.

الخلاصة اللاهوتيّة لهذه البركات الثلاث هي:

١– إعلان حب الله للخليقة والإنسان بشكل خاصّ (البركة الأولى)؛

٢– اكتشاف هذا الحبّ من خلال أعمال الله في التاريخ وعطاياه المجّانيّة (البركة الثانية)؛

٣– لذلك إعلان قداسته الأعظم من أن تُدرك، وإعلان مجده «كَبُودْ» أي المجد المتجلّي في أعماله (في الخلق خاصّة)، وبالتالي الانتهاء بالتهليل له (هلل، هللويا) (البركة الثالثة).

ثانيًا – البركات الثلاث عشرة

هذه البركات هي في الأساس «طلبات»، ولكنّها تنطلق من البركة وتنتهي بها، كما أنّها ترتكز على البركة، أي على الاعتراف بمحبّة الله المجّانيّة، وتعبِّر عن الثقة بالله.

- **البركة الرابعة** تُسمى «المعرفة» لأنّها تطلب المعرفة الحقيقيّة الآتية من الله؛ وهي تتمحور حول هذه التعابير: معرفة، فهم، تمييز؛ يطلب المصليّ إذًا قدرة الحكمة والتمييز ليتعرَّف بها على أعمال الله، ويعرف كيف يتصرف بحسب رضاه.
- **البركة الخامسة** تُسَمَّى «الندامة»، وهي تطلب من الله عطيّة التوبة والعودة إلى الحقيقة، أي إلى التوراة.
- **البركة السادسة** تُسمَّى «المغفرة»، وهي تطلب من الله أن يغفر للمؤمنين بسبب حُبِّه ومجّانيّته.
- **البركة السابعة** تُسمَّى «التحرير»، لأنّ الإنسان الحرّ وحده قادر أن يقدّم عبادة حقيقيّة لله.
- **البركة الثامنة** تُسمَّى «الشفاء»، وهي طلب الصّحة والعافية، لأنّ الله هو الطبيب الأفضل.
- **البركة التاسعة** اسمها «بركة للسنين»، وهي تتمحور حول طلب بركة الله للأرض والمواسم.
- **البركة العاشرة** تتمحور حول طلب جمع المشتَّتين من أبناء إسرائيل.
- **البركة الحادية عشرة** تُدعى «العدل»، وهي تطلب عدالة البشر من خلال أشخاص مسؤولين عادلين، وتنتقل إلى طلب عدالة الله النهائيّة من خلال استقبال تحقيق ملكوته النهائيّ.
- **البركة الثانية عشرة** تُدعى «بركة والهراطقة»، وهي تطلب من الله إزالة الشرّ بشكل نهائيّ؛ والشّر يتجسّد في الذين يتّهمون إسرائيل، وفي الهراطقة، والأعداء. زيدت هذه الصلاة على الأرجح في بداية عهد المسيحيّة وهي ضدّ المسيحيّين. وتجدر الإشارة إلى أنّ كثيرًا من كتب الصلاة الحاليّة، خاصّة عند اليهود الإصلاحيّين، لم تعد تحتويها.

- **البركة الثالثة عشرة** تطلب من الله أن ينتصر الخير.
- **البركة الرابعة عشرة** تتطلب إعادة بناء أورشليم؛ لها أيضًا بعد إسكاتولوجيّ.
- **البركة الخامسة عشرة** تطلب من الله تحقيق الزمن المسيحانيّ.
- **البركة السادسة عشرة** تطلب من الله أن يصغي إلى الصلاة التي رُفِعت.

ثالثًا– البركات الثلاث الأخيرة: بركات الشكر

هذه البركات هي :

- **البركة السابعة عشرة** تُدعى «الخدمة»، وهي تطلب من الله أن يعيد العبادة إلى أورشليم.
- **البركة الثامنة عشرة** تُدعى «الشكر»، وهي تعلن عرفان الجميل تجاه أعمال الله.
- **البركة التاسعة عشرة** تُدعى «بركة السلام»، وهي تطلب السلام بمعناه الأصليّ: الخير والنعم.

الأساس الثالث: قراءة التوراة

تُتلى هذه القراءة أيّام الاثنين والخميس والسبت في المجمع، وذلك تحقيقًا لوصيّة «إسمع يا إسرائيل»: «وردِّدها على بنيك...» (تث ٦: ٧). والتوراة هي جوهر وروح الدين اليهوديّ، وأفضل تعبير عن هذا الواقع هو تأكيد اليهود بأنّ التوراة هي شجرة الحياة (عِتْسْ هَحَيِيْم)(٣٢) التي حلَّت محل شجرة الحياة في الجنّة، والتي خسرها الإنسان بالخطيئة. فالتوراة هي الجنّة الجديدة وهي التي تقود إلى الجنّة المفقودة وتدلّ عليها. والتوراة هي أيضًا أحد الأعمدة التي يرتكز عليها العالم (مع

(٣٢) L. GINZBERG, *The Legends of Jews, op. cit.*, p. 81.

الليتورجيّة وأعمال المحبّة). وقد نسأل لماذا ثلاث مرّات في الأسبوع؟ هنالك تقليد رابّينيّ قديم يؤكّد في تفسيره لنصّ خر ١٥: ٢٢–٢٥ أنّ «الماء» الذي طلبه العبرانيّون في الصحراء، وتذمّروا لأنّهم لم يحصلوا عليه بعد ثلاثة أيّام من العطش، هو رمز للتوراة التي لا يستطيع اليهوديّ أن يعيش ثلاثة أيّام بدون الإصغاء إليها دون أن يموت! فاليهوديّ يفقد معنى حياته ويضيّع الطريق إذا انقطع عن الإصغاء إلى كلمة الحياة من التوراة(٣٣).

التوراة إذًا هي الزرع الذي يدخل في الإنسان ويخصبه ويقوده إلى الإيمان الناضج: من الجذر العبريّ «يَرَهْ»، أخصَبَ، أَوَلَدَ. لذلك فالتوراة ليست شريعة بل حكمة وحياة. هكذا قال بولس في ١ كو ١: ٢٤ عن المسيح، وهكذا أيضًا قال يوحنّا عنه في ٦: ٣٥.

– إعلان التوراة في المجمع

كانت التوراة تقسم بحسب تقليدَين مختلفين إلى ١٥٣ مقطعًا كبيرًا تُقرأ على ثلاث سنوات (٥١ أسبوعًا في السنة)، أو، بحسب التقليد البابليّ (الذي صار الأكثر رواجًا)، إلى ٥٤ مقطعًا، تُقرأ في سنة واحدة. هذه المقاطع تُسمَّى «فَرَشُوتْ» أي «تقسيمات»، أو، بحسب التقليد الأشكينازيّ، «سِدْرَهْ»، أي «منظّمة»؛ وهي تأخذ عنوانها من أوّل كلمة من المقطع أو المنظومة؛ مثلاً: «فِرْشَتْ نُوَحْ» لأنّها تبدأ بالآية القائلة: «هذه قصّة نوح» تك ٦: ٩.

في الأيّام المذكورة وفي الأعياد يُقرأ واحد من هذه المقاطع، وتليه قراءة مأخوذة من الأنبياء تدعى «هفتراه» (خاتمة – بداية)، وهي تؤلّف خاتمة القراءة وبداية وقت الكلام (لأنّ هناك صمتًا تامًّا خلال القراءات). طبعًا هنالك علاقة بين الـ «فَرَشَهْ» والـ «هَفْتَرَهْ». ثمّ يأتي الوقت الثالث الذي هو «دَرَشَهْ»، أي «التفسير». وهنا كان يطلب من أحد الرابّينيّين الحاضرين أن يقوم ويفسِّر الكلمة.

(٣٣) E. MUNK, *Le monde de prière*, p. 204.

تقنية هذا التفسير تكلّمنا عنها، ولكن يجب القول هنا إنّ المفسِّر يلجأ إلى النصوص من المزامير أو الكتب الأخرى ليربط بين «الفرشه» و«الهفتره»؛ وهكذا يكون السامع قد حصل على كلمة من كلّ الكتاب المقدّس وعلى تفسير تأوينيّ له.

– دراسة التوراة

نظرًا لأهمّيّتها فقد خضعت التوراة لدراسات عديدة في جهد تقي وورع لجعلها أقرب إلى الناس وتفسيرها فيما يفيد حياتهم.

والتقليد الرّبانيّ يشدِّد على أنّ تفسير التوراة يجب أن يكون مرتكزًا على البراهين الكتابيّة واللاهوتيّة، وليس على الأعاجيب أو الخوارق. وهنالك قصة جميلة تظهر ذلك، إذ يخبرون بأنّ أحد الرابّينيّين أراد أن يؤكّد صحّة تفسيراته باللجوء إلى الخوارق، وكان الله يساعده في ذلك. ولكنّ الرابينيّين الآخرين كانوا يجادلونه بأنّهم لا يستطيعون أن يقبلوا تفسيره إلاّ بالارتكاز على البراهين العقليّة والكتابيّة... ويبدو أنّ الله نفسه قد تكلّم مؤكّدًا قول ذلك الرابّيّ، ولكن الرابّينيّين أجابوا الله بأنّهم، وبحسب الكتاب المقدّس، لا يستطيعون الإصغاء إلى صوت إلهيّ من السماء، بل إلى صوت الأكثريّة (خر ٢٣: ٢).

هذه القصّة غير التاريخيّة (والتعليميّة) تهدف إلى التأكيد على أنّ تفسير التوراة ليس من عمل «مختارين» أو «أصحاب خوارق»، ولكن من عمل كلَّ مَن يدرسها بحبّ و بتواتر.

بهذا المعنى نفهم أهمّيّة التلمود الذي يشهد منذ القرن الرابع– الخامس ميلاديّ عن هذا النشاط التفسيريّ العظيم للتوراة، إن بواسطة الـ «هجّادَه» («تفسير») أو الـ «هلاخَه» («تأوين»).

هكذا، فقد تحقّق هذا الجهد التفسيريّ من خلال عملَين جبّارين هما **الترجوم والمِدراش.**

والترجوم هو ترجمة النصّ العبريّ إلى الآراميّ (لغة الشعب ابتداء من القرن الرابع ميلاديّ) وتفسيره. وقد كانت العادة أن يقرأ واحد يُدعى الـ «قُورِىءْ»، أي «القارئ»، إحدى الآيات باللغة العبريّة، ثمّ يتبعه واحد آخر يترجم بالآراميّة، ويُدعى الـ «مِتُورْجِمان»، أي «المترجم». ويقف بين الاثنين واحد ثالث يعرف العبريّة والآراميّة جيّدًا ودوره أن يصحّح للواحد وللآخر. ونجد في هذه التراجيم موادّ تفسيريّة كثيرة بالأسلوب الهَجَّادِيّ (تفسيريّ) أو الهَلخِيّ (تأوينيّ أخلاقيّ).

أمّا المدراش فهو مجموعة الكتب التي ضمّنها الرّابّينيّون تفسيراتهم للكتاب المقدّس، وفيها نجد أكثر وأهمّ هذه التفسيرات على مدى العصور.

هدف المدراش هو إيجاد المعنى المخبّأ في كلمة الله وتأوينه للناس لمساعدتهم على عيشه في حياتهم اليوميّة. هذا التفسير ليس عقليًّا ولو نظريًّا ولا تكميليًّا للنصّ الكتابيّ (كمدارس التفسير الحديثة) بل تأوينيًّا وحياتيًّا. من هنا فإنّ المدرسة التفسيريّة المدراشيّة تتّصف بالغرابة في طريقتها، ونحن لسنا معتادين عليها لأنّها لا تتبع المنطق. فالرّابّينيّ يستطيع أن يسمح لنفسه بأن يفسِّر نصًّا من خلال اللجوء إلى نصّ ثانٍ لا علاقة بينهما في الظاهر، وذلك باللجوء إلى قراءة مختلفة لإحدى كلمات النصّ المراد تفسيره، فتصبح قريبة من كلمة أخرى من النصّ الذي يلجأ إليه. ولدينا عدّة مراجع تؤكّد أنّ عادة إعلان كلمة الله في المجمع قديمة، وإن تطوّرت مع الزمن لتأخذ شكلها النهائيّ مع بداية العصر المسيحيّ.

مثال على ذلك، ما نجده في:

- تث ٣١: ١٠–١٣: «كلّ سبع سنين، خلال عيد المظال... تقرأ هذه التوراة على مسامع كلّ إسرائيل».
- نح ٨: ١–٨: «في أوّل يوم من الشهر السابع... وقف عزرا الكاهن وقرأ كتاب التوراة».
- لو ٤: ١٦–١٩: «وقام ... وقرأ من النبيّ أشعيا .... ثم قال ...».

- أع ١٣: ١٥: «بعد قراءة التوراة والأنبياء قالوا لبولس وبرنابا: إذا كان عندكم كلمة تشجيع للشعب...»[٣٤].

هذه القراءات كانت تسبقها وتتبعها بركات محدّدة:

- البركة البدائيّة وفيها: «مبارك أنت يا ربّ، إلهنا وملك العالم، الذي اخترتنا بين الشعوب كلّها وأعطيتنا التوراة. مبارك أنت الذي تعطينا التوراة».
- البركة الختاميّة وفيها: «مبارك ... أنت الذي أعطيتنا توراة الحقيقة وزرعت في وسطنا الحياة الأبديّة. مبارك أنت الذي تعطينا التوراة».

ونجد هنا جوهر إعلان كلمة الله، بحيث أنّ القارئ والسامع يعيان حضور الله المرافق لإعلان كلمته، ويعبّران عن حقيقة هذه الكلمة وفعاليّتها الحاضرة كما الماضية، من خلال مباركة الله على هذه العطيّة.

٣- الصلوات اليهوديّة

إن «الشِمَع» والصلاة وقراءة التوراة هي أساس كلّ صلاة يهوديّة في كلّ مكان وكلّ زمان على المستوى الفرديّ أو الجماعيّ. ولذلك لا بدّ أن نذكر باختصار بعض الصلوات في أبعادها الشخصيّة والعائليّة.

٣، ١- صلوات وبركات فردية

- صلوات وبركات الصباح

يعلن التلمود البابليّ[٣٥] أهمّيّة النهوض الصباحيّ في حياة المؤمن ويقسِّمه إلى عدة مراحل: الاستيقاظ - سماع صوت الديك - فتح العيون - الجلوس في

(٣٤) راجع أيضا: **المشنا**، المقطع ٣: ٤-٦. **التلمود البابليّ**، المقطع ٢٩ ب (قراءة التوراة في ثلاث سنوات)؛ المقطع ٣١ ب (قراءة التلمود في سنة واحدة).

(٣٥) Cf. *Talmud Babylonien*, Ber 60b.

الفراش– لبس الثياب – النهوض من الفراش – لمس الأرض – الوقوف – لبس الحذاء – لبس الحزام – الغسيل. وكلّ هذه الأعمال ترافقها بركة محدّدة! وهكذا فعدد بركات الصباح ١٥.

ولكنّ أهمّ هذه البركات هي الأولى والأخيرة.

١– «... مبارك أنت أيّها الربّ الذي تعيد الأرواح إلى الأجساد الحيّة».

وهنا اعتراف بأنّ الليل هو علامة الموت ورمزه، والنهوض هو عودة الحياة إلى الإنسان. فأن ينام الإنسان ثمّ ينهض من النوم ليس أبدًا أمرًا بديهيًّا، بل عمل أعجوبة يوميّة يُدعَى الإنسان للتأمّل به ومباركة الله لأجله.

١٥– «... عوّدني يا ربّ على شريعتك، واجعلني أتعلّق بوصاياك... لا تتركني لسلطان الخطيئة...».

وهنا نجد تأكيدًا على أنّ الانتقال من الموت إلى الحياة، من النعاس إلى الصحوة، هو عمل الله الذي يقود الإنسان من الجهل وطريق الموت إلى الشريعة والحكمة الإلهيّة، أي طريق الحياة.

– صلوات وبركات المساء

تتضمّن أمرَين مهمَّين: صلاة الشِمَع، وبركة ختاميّة.

أمّا البركة فهي:

«مبارك الذي يُنزل النعاس إلى عينيّ...
لتكن مشيئتك يا ربّ أن أرقد بسلام...
أن لا تعكّرني أحلام سيّئة وأفكار رديئة...
إبقَ النور في عينيَّ لكي لا أنام في الموت...
مبارك الذي ينير العالم كلّه بضيائه الساطع».

هذه الصلاة هي إعلان إيمان وطلب معونة: إعلان الإيمان بأنّ الله هو الذي يعطي النعاس ويدعو إلى الرقاد؛ وطلب عطيّة الرقاد بسلام، وعدم الاضطراب بأفكار سيّئة، مع التشبيه بين الظلام والخطيئة.

– صلوات خلال النهار

لأجل كلّ شيء! كلّ موضوع وحدث صالح للبركة! يبارك الربّ لأجل الخير وأيضًا لأجل الشرّ! وهناك مثل يهوديّ حكميّ شائع يقول: «كلّ شيء يعمله الله، يعمله لأجل الخير».

إذًا مهما يكن الشرّ الذي يقابل الإنسان فهو لا يملك الكلمة النهائيّة. كلّ شيء له معنى و«بالله» يؤول إلى الخير. فالكلمة الأخيرة هي لله.

إذا فالنقص ليس شرًّا بحدّ ذاته طالما أنّه طريق، أو معبر إلى الخير(٣٦). هذا بالضبط ما يردّده القدّيس بولس أيضًا: «ونحن نعلم أنّ الله يعمل كلّ شيء لخير الذين يحبّونه» (رو ٨: ٢٨).

٣، ٢– صلوات وليترجيا العائلة

أوّلاً– صلوات وبركات مختلفة

البيت اليهوديّ هو هيكل صغير، ومملكة روحيّة(٣٧) «ومَقْدِس» تعيش فيه العائلة إيمانها المشترك، وذلك عبر ثلاثة احتفالات: الطعام اليوميّ، احتفال السبت الأسبوعيّ، واحتفال الفصح السنويّ.

– «بركة همازون»، البركة لأجل الطعام:

إنّ الطعام هو الفعل اليوميّ الذي يعيشه الإنسان والحاجة التي لا بدَّ منها لقوام

(٣٦) Cf. J.H. HERTZ, *The Authorized Prayer Book*, p. 1065.

(٣٧) Cf. A.E. MILLGRAM, *Jewish Worship, op.cit*, p. 290.

حياته ونشاطه الفعليّ والجسديّ حتى الروحيّ (رج مز ١١٥: ١٧ي). ولكنّ الخبز هو قبل كلّ شيء عطيّة من الله ورمز لمحبّته وعنايته بخلائقه وخاصّة بالإنسان. والخبز هنا هو رمز لكلّ طعام. هكذا يقول المزمور ١٠٤:

«تُنبت للبهائم كلأ ولخدمة البشر خُضَرًا
لإخراج خبز من الأرض وخمر تفرح قلب الإنسان
لكي ينضر الزيت الوجوه ويسند الخبز قلب الإنسان»،

مبيّنًا أنّ الله يحسن إلى الخليقة كلّها ويعطيها، لا الغذاء المادّيّ فقط بل الفرح والسعادة.

لهذا السبب فصلاة «البركة» قبل الطعام وبعده هي صلاة تؤكّد البعد «الروحيّ» للخبز والطعام الذي قد يطغى عليه طابع المادّة.

فإذا كان الخبز من الله فليس للإنسان حقّ ملكيّة عليه، بل هو يستفيد من عطيّة الله المجّانيّة. لذلك فإنّ الصلاة على الطعام هي اعتراف من الإنسان بمحبّة الله له وعطيّته المجّانيّة، وليس طلبًا جديدًا لبركة ما. الله هو الذي سبق وأعطى البركة (الخبز رمز الحياة التي هي بركة الله للإنسان). والإنسان عند تناوله الطعام، يبارك الله، أي يعترف بأنّه مصدر هذه البركة والحياة، ويشكره على ما سبق وأنعم به مجّانًا(٣٨).

من جهة ثانية، فكون الخبز هو من الله بركة وعطيّة مجّانيّة يوميّة، فإنّ البعد الآخر لتناول الطعام هو المشاركة في هذا الخير مع الآخرين. فالجلوس معًا للطعام يؤكّد هذا البعد الجماعيّ للمشاركة في خيرات الله. فهي ليست «لي» وحدي،

(٣٨) كلمة «قربان» لا تأتي من قرّب بل من قَرُبَ! فالقربان هو اقتراب من الله وليس تقدمة له. هكذا في الأصل العبريّ! فهل هو كذلك في الأصل العربيّ؟ على كلّ حال، في لاهوت القربان ليس للإنسان شيء يعطيه لله سوى الاعتراف بعطاياه.

بل «لنا» جميعًا. الطعام معًا ينفي فكرة «التنافس» على اقتناء الخبز ويدخل البعد الجماعيّ والشركة في الاستفادة من الخير الواحد الآتي من الله.

أخيرًا، وبما أنّ الطعام هو عطية من الله، وهو لنا جميعًا، فإنّ «العمل» البشريّ من أجل الحصول على الطعام يصبح محرّرًا من القلق والخوف؛ فالإنسان مدعوّ ليعمل ويجتهد في تأمين خبزه اليوميّ، ولكنّه لا يخاف أن ينقصه هذا الخبز طالما أنّه من الله، ولا يخاف أن يفقده بسبب «الأنانيّة» طالما أنّ السعادة تكمن في المشاركة في الخيرات وفي الخبز. واذا تساءلنا لماذا على الإنسان ان يعمل إذًا لكي يحصل على الخبز طالما أنّه عطيّة من الله، فالجواب بسيط: الله يعطي الخير مجّانًا (المادّة)، والإنسان يتجاوب مع عطيّة الله هذه ويأخذها (هذا هو العمل)؛ فالله لا يستطيع أن يعطي مَن لا يريد أن يأخذ.

– البركة السابقة

«مبارك أنت أيّها الربّ إلهنا ملك الكون الذي تخرج الخبز من الأرض». في هذه الصلاة اعتراف بأنّ مصدر الخبز الذي نأكله هو الله. كلمة «لحم» تعني خبز، ولكنّها أيضًا تعني الطعام. وهي تعني أيضًا «اللحم» بالمعنى العربيّ للكلمة أي الجزء الأهمّ والأفضل من الطعام، حيث أنّ لحم الحيوانات المذبوحة للتقدمة يُسمّى «لِحِمْ إلوهِيم». وكلمة «لحم» تعني أيضًا المنّ الذي ينزل من السماء. كلّ هذا يؤكّد الارتباط الأساسيّ بين الطعام وبين عطيّة الله.

– البركة اللاحقة

هذه البركة هي الأكثر تفصيلاً، ولعلّها الأقدم والأهمّ بين كلّ البركات في الطقس اليهوديّ؛ فهي مرتبطة بوصيّة واضحة نجدها في تث ٨: ١٠: «تأكل وتشبع وتبارك الربّ إلهك لأجل الأرض التي أعطاك إيّاها». وفيها ثلاث بركات، وواحدة زيدت في يَمْنِيَا (حوالى سنة ٩٠ م). ويعتبر التلمود أنّ أصحاب هذه البركات هم على التوالي:

موسى الذي بارك الله عند نزول المنّ من السماء.

ويشوع عند امتلاك أرض الميعاد.

وداود وسليمان لأجل أورشليم (وفيها طلب رحمة لأجل الخطايا).

فما هي الأبعاد اللاهوتيّة لهذه الصلوات؟

– البعد الأوّل هو (كما قلنا) أنّ الخبز هو عطيّة من الله مجّانيّة.

– البعد الثاني هو تحقيق وصيّة الله الذي أعطى الأرض لكي يعمل الإنسان فيها ويختبر محبّة الله وعطاياه بالحياة التي تخرج من الأرض إذا تعب الإنسان عليها.

البعد الثالث هو رحمة الله الدائمة لشعبه. ولأنّ هذه الصلاة فيها طلب رحمة، فإنّها اعتراف بأنّ عدم توافر الطعام والخبز هو من أنانيّة الإنسان وخطاياه.

من جهة ثانية، هنالك صلوات وحوارات متعدّدة يمكن إضافتها خاصّة هذا الحوار:

«أيّها السادة، لنبارك»؛ والجواب: «مبارك اسم الربّ الآن وإلى الأبد»؛ ثمّ يتابع: «بموافقة الحاضرين هنا، نريد أن نسبِّح الذي تشاركنا من كرمه»؛ والجواب: «مبارك الذي مَن كرمه تشاركنا والذي من طيبه يعطينا الحياة».

ثانيا– الاحتفال الليتورجيّ العائليّ: السبت(٣٩)

إنَّه قمّة الاعتراف والبركة بعطايا الله وخيراته. يبدأ الاحتفال ببركة تعلنها الأمّ، ويكتمل ببركات أخرى تُسمَّى «هَفْدَلَهْ» يعلنها الأبّ. مركز الاحتفال هو صلاة الـ «قدوش» على كأس نبيذ قبل البدء بالطعام.

(٣٩) DI SANTE CARMINE, *op.cit.*, p.149-160.

– معنى السبت بحسب المدراش

إنّه النور الذي ينير طريق المؤمنين (مز ١١٩: ١٠٥)، ويكشف هوّيّتهم (شعب العبادة للربّ والراحة به) ويقوّي هذه الهوّيّة.

السبت يشبه ملكًا هيّأ بيت الزواج، وماذا كان ينقصه؟ العروس! هذا هو السبت بالنسبة إلى العالم: كان ينقص العالم السبت(٤٠)!

السبت يشبه ملكًا صنع خاتمًا: ماذا كان ينقصه؟ الختم! فماذا كان ينقص العالم؟ السبت!

هذا من المدراش ربّا تفسيرًا لـ تك ٢: ٢؛ فالعالم هو كبيت مهيّأ للزواج ولا معنى له بدون العروس، وهو كخاتم مصنوع ولا معنى له إلاّ إذا صار ختمًا لصاحبه. بنفس المعنى، الوقت لا معنى له بدون السبت: الوقت هو أمر رهيب ومخيف ومقلق، لولا أنّه كلّه يقود إلى السبت، أي إلى الراحة بالربّ والعبادة له.

السبت ليس فقط التوقّف عن التعب والجهد، بل هو أيضًا وبخاصّة الراحة والفرح!

طبعًا لا معنى للسبت بدون الإنسان الذي يشارك في راحته ويستفيد منها.

– الليتورجيّا

١ – إضاءة الشموع والبركة التي تعود إلى الأمّ:

الأبّ موجود مع أولاده الكبار في المجمع حيث يبدأ الاحتفال هناك مع الجماعة.

الأمّ في هذا الوقت تضيء الشموع علامة استقبال ليوم السبت، وهو اليوم المنير، وتصلّي قائلة:

(٤٠) Cf. *Midrash Rabba*, Gn 9,9.

«أيّها الربّ... فلتأتِ عليّ وعلى أولادي حياة فيّاضة ونعم سماويّة. كن رحومًا معنا، وَلْيَبقَ «مسكنك» (شِكينه) معنا. يا أبا المراحم...، إجعلني أهلاً لتربية أولادي لكي يسيروا في حضرتك، أمناء على توراتك، ومستعبَدين للأعمال الصالحة... عندك نبع الحياة، وبنورك نعاين النور» (مز ٣٦: ١٠)(٤١).

عندها تنير الشموع وتعلن هذه البركة: «مبارك أنت أيّها الربّ، ملك الكون، الذي قدّستنا بوصاياك والذي أمرتنا بإنارة الشموع يوم السبت».

إنّ هذه البركة هي أنّك «قدَّستنا» أي فصلتنا، وليس المقصود عن باقي الشعوب، بل الفصل بالنسبة إلى الوقت، أي جعلتنا نفهم معنى الوقت الحقيقيّ المفصول عن معناه المادّيّ، وأدخلتنا في وقت الراحة والعبادة(٤٢).

٢ – القِدّوش

هي الصلاة التي يتلوها الأبّ على كأس نبيذ عند الطاولة حيث أُضيئت الشموع.

هنا يشربون جميعهم من كأس النبيذ ويتشاركون في قطعة خبز. بعدها تأكل العائلة مجتمعة وفرحة ومبتهجة.

نصّ القِدّوش يتضمّن ثلاث بركات:

الأولى والثالثة لأجل الخمر والخبز؛

أمّا الثانية، فهي لأجل السبت نفسه: «مبارك... أنت الذي قدّستنا بوصاياك وأظهرت لنا وحمتك. بحبّ أعطيتنا ميراث السبت المقدّس، الذي هو ذكرى الخلق وأوّل يوم عيد، وذكرى الخروج من مصر...».

(٤١) Cf. J.H. HERTZ, *The Authorized Daily Prayer*, *op.cit.*, p. 343-344.

(٤٢) *Ibidem*, p. 606.

هكذا فالسبت هو المقدّس، أي أنّه مفصول عن زمن التعب والجهد والفشل والقلق... إنّه زمن الفرح والابتهاج، وعلامته «النبيذ» الذي يرمز إلى الفرح والمجّانيّة؛ فهدف حياة الإنسان ليس العمل المتعب، بل الراحة والفرح. بهذا المعنى، يمكن التأكيد عن لسان أحد الحكماء: «ليس إسرائيل هو الذي حفظ السبت، بل السبت هو الذي حفظ إسرائيل، ويحفظ العالم كلّه».

مع القِدّوش هنالك صلاة جميلة جدًّا يصلّيها الأبّ على أبنائه عند عودته من المجمع مبارِكًا إيّاهم، واضعًا يديه على رأس كلّ منهم قائلاً: «ليباركك الربّ ويحفظك! ليشرق عليك بوجهه وينعم عليك» (عد ٦: ٢٣–٢٦).

هذه البركة تُظهر الوظيفة الكهنوتيّة للأبّ، وتعطي الأولاد شعورًا بالضمانة الإلهيّة.

ثم يتبعه نشيد للملائكة: «أهلاً بكم أيّها الملائكة الخدّام». أخيرًا يقول الرجل كلمات المدح لزوجته التي هيّأت السبت مستوحيًا أم ٣١: ١٠–٣١.

٣– الهَقْدَلَهْ

هنا خاتمة السبت، وفيها ٤ بركات قصيرة لها مقدمة من بعض نصوص أشعيا (١٢: ٢–٣) وأستير والمزامير (٣: ٩؛ ٤٦: ١٢؛ ٨٤: ١٣؛ ١٦: ١٣).

١– مبارك الذي خلق ثمرة الكرمة.

٢– مبارك الذي خلق الأعشاب ذات الرائحة العذبة.

٣– مبارك الذي خلق نور النار.

(٤٣) هناك عدد مهمّ من الصلوات والاحتفالات الأخرى التي تقام في العائلة وفي المجمع والهيكل، مثل رتبة عيد الفصح العائليّة، والاحتفال بالعيد نفسه وبالأعياد الأخرى كالعنصرة، والأسابيع الخ، التي تقام في المجمع والهيكل، وكذلك رتب الذبائح والتقادم التي تقام في الهيكل، ولكنّنا سنعود إليها في مقالة ثانية مفصّلة.

٤– مبارك الذي ميّز بين المقدَّس وغير المقدَّس، النور من الظلمات، إسرائيل من بين الشعوب، اليوم السابع من بين الأيّام(٤٣).

خاتمة

قدّمنا في هذه المقالة فكرة بسيطة عن الصلاة اليهوديّة، إن من حيث لاهوتها أو هيكليّتها وارتباطها بحياة الأفراد أو العائلة. كانت رغبتي الأساسيّة أن أقوم بدراسة مقابلة مع بعض الصلوات والليتورجيّات المسيحيّة التي، كما هو معروف، أخذت الكثير من الصلاة اليهوديّة، بدءًا بالأناجيل ومار بولس، ومرورًا بطقوس الكنائس الشرقيّة بشكل عامّ، والكنائس السريانيّة بشكل خاصّ، مع هذه الثابتة، أنّ المسيحيّة صلّت على أساس جديد هو حدث موت الربّ يسوع وقيامته.

للأسف، لم أستطع تحقيق ما رغبت فيه كاملاً، بل أنّني لم أستطع حتّى الكلام على ليتورجيّات المجمع أو الطقوس البيتيّة والمجمعيّة الخاصّة بالأعياد اليهوديّة. أرجو أن أكمل عملي قريبًا، بسلسلة مقالات، أوّلها عن الأعياد اليهوديّة، ثمّ عن المقابلة الموعودة بين الصلوات اليهوديّة والمسيحيّة. عسى أن يساهم هذا العمل في جهدنا الأنطاكيّ للعودة إلى جذورنا الليتورجيّة القديمة، إن في أنطاكيان وإنْ في الرها ونصيبين، وصولاً إلى ليتورجيّات الكنيسة الأولى في أورشليم أمّ الكنائس كلّها.